

## الصراع السياسي والإرهاب في اليمن!

د. عبد الله الفقيه

أستاذ العلوم السياسية بجامعة صنعاء

ارتبط ظهور الإرهاب والجماعات الإرهابية في اليمن بالصراعات السياسية سواء بين المعسكرين الشرقي والغربي خلال فترة الحرب الباردة أو بين الدولتين الشطريتين خلال نفس المرحلة أو بين القوى السياسية داخل دولة الوحدة. ومع ان ظهور الجماعات الإرهابية قد ارتبط إلى حد كبير بالصراعات ذات الصيغة الإيديولوجية، إلا ان الصراع السياسي بشكل عام، وحتى في حال غياب الاختلافات الإيديولوجية وغياب العنف في الصراع، قد تزامن مع أعمال إرهابية. ففي الوقت الذي شهدت فيه الجمهورية اليمنية هدوءا نسبيا وتراجعا كبيرا للهجمات الإرهابية بين عامي ٢٠٠٣ و ٢٠٠٦ فإنه يلاحظ ان التنافس الانتخابي الحاد بين الرئيس الحالي علي عبد الله صالح والمهندس فيصل بن شمالان خلال انتخابات سبتمبر ٢٠٠٦ الرئاسية قد تزامن أولا مع فرار ٢٣ إرهابيا من سجن الأمن السياسي في مطلع فبراير ٢٠٠٦ ثم مع قيام إرهابيين في ١٥ سبتمبر، أي قبل اقل من أسبوع من يوم الاقتراع في ٢٠ سبتمبر، بهجوميين استهدفا منشآت نفطية واديا إلى مقتل خمسة أشخاص: أربعة من الانتحاريين وحارس لإحدى المنشآت.

ويمكن تعريف الصراع السياسي بأنه حالة حقيقية أو متوهمة من تناقض المصالح والقيم بين الفئات المكونة للمجتمع. ومع ان الصراع السياسي يعتبر ظاهرة طبيعية لا يمكن إلغائها، إلا ان المجتمعات والجماعات الإنسانية، تختلف في طريقة إدارة الصراع. فهناك مجتمعات نجحت في إيجاد آليات مؤسسية وديمقراطية للتعامل مع تلك الصراعات بطرق سلمية، وعلى النقيض من ذلك فإن معظم المجتمعات التي تنتمي إلى العالمين الثالث والرابع، واليمن تندرج ضمن الصنف الأخير، ما زالت تدبير الصراع السياسي عن طريق القوة والغلبة.

وحيث أن اليمن تشهد اليوم اشتدادا للصراع الاجتماعي بشكل عام والصراع السياسي بشكل خاص، فإن الكثيرين يتساءلون عن الطريقة التي ستؤثر بها هذه الصراعات على ظاهرة الإرهاب في اليمن سواء تعلق ذلك بجهود الحكومة اليمنية والمجتمع الدولي في مكافحة أو بالاتجاهات العامة في تكوين الجماعات الإرهابية وطرق عملها. ويذهب هذا المقال إلى أن الصراعات السياسية تنعكس إيجابا على الجماعات الإرهابية لأنها تؤدي إلى، من بين تطورات أخرى، تراجع الاهتمام الحكومي بتلك الجماعات، زيادة القدرة الاستيرادية، وبروز الإرهاب كسلاح.

تراجع الاهتمام الحكومي

يتميز هيكل صنع القرار في اليمن، وكما في الكثير من دول العالم الثالث، بالتركيز الشديد للسلطة وغياب المؤسسة أو ضعفها وغياب التخصص وعدم وجود نظام على صعيد التطبيق يحدد الاختصاصات والمسؤوليات. ويعتبر الهم الأول لصانع القرار في نظام مثل هذا هو البقاء في السلطة بما يعنيه ذلك البقاء من هيمنة على الموارد السياسية والاقتصادية التي تنصف بالندرة. ويمكن القول ان الموضوع الأول على أجندة صانع القرار اليمني في ظل اشتداد الصراع السياسي هو البقاء في السلطة بما يعنيه ذلك البقاء من التركيز على المعارضة السياسية أولا، وعلى الجماعات التي تشكل تهديدا مباشرا لبقاء صانع القرار في السلطة سواء تمثلت تلك الجماعات في المتمردين الحوثيين في الشمال أو في قوى الحراك في الجنوب.

وتؤدي الصراعات السياسية إلى ازدحام أجندة صانع القرار بالمهام العاجلة التي تتعلق بالتحديات التي تمثل تهديدا لبقائه في السلطة في حين تتراجع مكانة الجماعات الإرهابية أو تختفي من تلك الأجندة وهو ما يتيح للجماعات الإرهابية حرية أكبر للحركة. ومع ان تحدي الإرهاب يصعد فجأة إلى أجندة صانع القرار لبعض الوقت—غالبا عقب حدوث عملية إرهابية أو في ظل الضغوط الدولية القوية— إلا انه ما يلبث ان يختفي من الأجندة. ويلاحظ في الحالة اليمنية انه في الوقت الذي تنشط فيه الحرب في صعدة، وإلى حد أقل الحراك في الجنوب، يتعمق غياب تحدي الإرهاب عن أجندة صانع القرار. والمتأمل في الجدول رقم (١) الخاص بالحوادث الإرهابية والجهود المتصلة بالمكافحة في اليمن سيلاحظ ان أنشطة الدولة في مكافحة الإرهاب ارتبطت بغياب الصراع السياسي الحاد سواء اتخذ ذلك الصراع شكل الحرب كما كان عليه الحال في حروب صعدة الست أو حتى بالتنافس الانتخابي الحاد كما حدث خلال الانتخابات الرئاسية والمحلية في سبتمبر ٢٠٠٦.

زيادة القدرة الاستيرادية

تؤدي حالة عدم الاستقرار التي يفرزها الصراع السياسي إلى زيادة قدرة الجماعات الإرهابية الداخلية على استقطاب العناصر الإرهابية التي تعمل في مناطق تشهد حالة من الاستقرار أو يتم فيها ملاحقة تلك العناصر بقوة لا قبل لها بمواجهتها. وتشبه المرحلة التي تمر بها اليمن اليوم تلك المرحلة التي سبقت حرب عام ١٩٩٤ والتي استقبلت فيها البلاد الكثير من العناصر المتشددة العائدة من أفغانستان أو من غيرها من مناطق الصراع، وذلك بسبب الصراع السياسي الذي كان دائرا خلال الفترة الانتقالية من جهة، والضعف الذي اعترى مؤسسات الدولة عقب توحيد البلاد من جهة أخرى.

وتشكل السعودية خلال المرحلة الحالية المصدر الرئيس للإرهابيين إلى اليمن حيث تؤدي الملاحظات التي يتعرض لها الإرهابيون هناك إلى نزوحهم إلى الجانب اليمني من الحدود الفاصلة بين البلدين والاستقرار فيها مستغلين الغياب التاريخي للدولة اليمنية عن تلك المناطق، أو ضعف الحضور الرسمي، أو الترحيب والتسهيلات التي يلقونها من بعض الأطراف اليمنية

سواء تمثلت تلك الأطراف في الجماعات الإرهابية، أو في الأطراف السياسية المتصارعة أو في القبائل التي تعمل على التغطية على تلك العناصر وتقديم الحماية لها في مواجهة الدولة.

وتأتي الدول الأفريقية وخصوصا الصومال في المرتبة الثانية في تصدير الإرهابيين الى اليمن بعد السعودية وذلك لسهولة عبورهم البحر الأحمر وتسللهم عبر الحدود والمنافذ اليمنية التي لا تسيطر عليها الدولة بالدرجة المطلوبة. وصحيح أن دور العناصر الصومالية ما زال غائبا بشكل كبير عن نشاط الجماعات الإرهابية في اليمن إلا أن الصحيح أيضا هو أن الصومال غير المستقر وما يعتمل على أراضيه يشكل أكبر مخزون يمكن للجماعات الإرهابية العاملة في اليمن الاعتماد عليه. وتشكل دول الخليج—بخلاف السعودية—وبباكستان وأفغانستان مصادر ثانوية لتصدير عناصر الإرهاب الى اليمن. ومع ان مراكز الأبحاث تحذر منذ شهور من انتقال الكثير من عناصر القاعدة المتواجدة في باكستان وأفغانستان إلى اليمن بتأثير الحرب التي تشن ضدهم في تلك الدول، الا انه من غير المحتمل ان يشكل النازحون من تلك الدول ظاهرة كبيرة لأسباب كثيرة أهمها ان عددهم ربما كان محدودا جدا، وأنهم سيواجهون صعوبات كبيرة في الانتقال جوا او بحرا او برا الى اليمن.

جدول رقم (١): التطورات المتصلة بالهجمات الإرهابية والجهود الحكومية في مكافحة في الجمهورية اليمنية (٢٠٠٦-٢٠٠٩)	
عام ٢٠٠٩	
٢٥ ديسمبر	محاولة النيجري عمر فاروق عبد المطلب بتكليف من القاعدة في اليمن تفجير طائرة أمريكية متجهة من أمستردام إلى مدينة ديترويت الأمريكية
٢٤ ديسمبر	هجوم على عناصر تنتمي إلى القاعدة في محافظة شبوه تقول الحكومة انه قتل خمسة منهم
١٧ ديسمبر	هجوم على عناصر من القاعدة في المعجلة بابين خلف العشرات من الضحايا المدنيين من نساء وأطفال ورجال ويقال انه قتل بضعة أشخاص من القاعدة.
٣ نوفمبر	مقتل مدراء الأمن السياسي والأمن العام والبحث الجنائي واثنين من مرافقيهم في مديرية وادي حضرموت والقاعدة تعلن مسئوليتها.
١١ يونيو	اختطاف ٩ اجانب منهم طبيب الماني وزوجته واطفاله وممرضتان المانيتان وممرضة كورية ومهندس بريطاني والعثور بعد ذلك على جثث الممرضتين الألمانيتين والكورية فيما لم يتم العثور على اي اثر للباقيين.
١٨ مارس	فجر احد الإنتحاريين نفسه على مقربة من موكب لوفد كوري جاء ليحقق في التفجير الذي وقع في الحادث عشر..استخدام حزام ناسف
١٥ مارس	قتل ٤ كوريين و مرشد سياحي وجرح ٤ اجانب آخرين عندما قام عنصر من القاعدة بتفجير نفسه في شبام حضرموت..استخدام حزام ناسف
عام ٢٠٠٨	
٢٠ أكتوبر	القاعدة تغتال مدير مديرية مدغل في محافظة مارب برسالة مفخخة
١٧ سبتمبر	مقتل ١٨ وجرح ١٦ في الهجوم على السفارة الأمريكية في صنعاء
٢٨ أغسطس	اعتقال ٣٠ من عناصر القاعدة في حضرموت
٢٠ أغسطس	القاء القبض على ٥ من كتائب التوحيد التابعة للقاعدة بحسب الحكومة اليمنية
١٢ أغسطس	الأمن يقتل ٥ ويقبض على اثنين من عناصر القاعدة في مدينة تريم
١٠ أغسطس	هجوم بقنبلة على دورية شرطة في المكلا
٢٥ يوليو	مقتل ٢ وجرح ١٨ في هجوم انتحاري للقاعدة استهدف معسكر للامن في سينون
٢٥ يونيو	هجوم صاروخي استهدف مصفاة مارب
٣١ مايو	هجوم للقاعدة استهدف مصفاة النفط في عدن
٢ مايو	مقتل ١٥ وجرح ٥٥ في هجوم جوار مسجد بن سلمان في صعدة
١٦ ابريل	مقتل ٤ من افراد الأمن المكلفين بحماية السياح في محافظة مارب
٦ ابريل	هجوم بقذائف الهاون على المجمع السكني للاجانب في حدة
١٨ مارس	هجوم بالقنابل اخطأ السفارة الأمريكية واصاب مدرسة ٧ يوليو وحدثت اصابات بين طالبات المدرسة وحرس السفارة الأمريكية
١٨ يناير	القاعدة تقتل ٤ منهم سائحيتين بلجيكيتين وجرح ٢ بينهم بلجيكي
عام ٢٠٠٧	
٨ أغسطس	مقتل ٥ من عناصر القاعدة المتهمين بقتل السياح الأسبان
٢ يوليو	القاعدة تقتل ٨ سياح اسبان وتجرح ١٢ في هجوم انتحاري في محافظة مارب
٢٣ مارس	اغتيال مدير البحث الجنائي في محافظة مارب

١٤ يناير	الأمن يقتل ياسر الحميقي أحد الفارين الـ ٢٣ من سجن الأمن السياسي في فبراير ٢٠٠٦
٢٠٠٦	
٦ أكتوبر	مقتل ٢ من الفارين من سجن الأمن السياسي في فبراير من نفس العام وهما فوزي الربيعي ومحمد الديلمي
١٥ سبتمبر	مقتل ٤ انتحاريين وحارس أحد المنشآت في هجمات استهدفت منشآت نفطية في مارب وحضرموت
٣ فبراير	فرار ٢٣ من عناصر القاعدة من سجن الأمن السياسي في صنعاء

بروز الإرهاب كسلاح شهدت السنوات القليلة الماضية بروز الإرهاب في اليمن كسلاح يتم توظيفه في الصراعات السياسية العنيفة التي تشهدها البلاد. ففي ٢ مايو ٢٠٠٨، وقبل الحرب الخامسة في صنعاء بايام، تم تفجير دراجة نارية مفخخة عند خروج المصلين من جامع بن سلمان في صنعاء مما أدى إلى مقتل ١٥ شخصا وجرح ٥٥ آخرين. وقبل الحرب السادسة بأسابيع تم خطف طبيب ألماني وخمسة من أفراد أسرته، وممرضتين المانيتين وممرضة كورية يعملون جميعا في مستشفى السلام في صنعاء، وقد عثر على جثث المرضات الثلاث مرميات في الخلاء بعد ذلك في حين اختفى الطبيب الألماني وأفراد أسرته والمهندس البريطاني بشكل غامض ولا يعرف مصيرهم حتى الآن.

وقد اتهمت السلطات اليمنية الحوثيين بالوقوف خلف الهجومين، وادعت القبض على بعض منفذي الأولى ووعدت، دون أن تفي، بالكشف عن التفاصيل، وما زالت المسؤولية عن الحادثتين اللتين مهدت كل واحدة منهما لجولة جديدة من الحرب، غير محددة. ومن غير المحتمل، وإن كان غير مستبعد تماما، أن يكون الحوثيين أو جماعة مرتبطة بهم يقفون خلف تلك الهجمات التي تنفق في الكثير من ملابساتها وتفصيلها مع بعض الهجمات المشابهة التي وقعت في اليمن خلال العقد الماضي والتي استهدفت قيادات في الحزب الاشتراكي وبعض الأطباء الأجانب في جيلة.

وكما أن الحربين الخامسة والسادسة بدأت كل منهما في أعقاب عمل إرهابي كبير، فإن الفترة التالية لنهاية كل من الحرب الرابعة والخامسة، كما يستفاد من المقارنة بين الجدولين ١ و ٢، قد شهدت أيضا حدوث هجوم إرهابي كبير. ومع أنه من الصعب الوصول إلى درجة عالية من اليقين في تفسير الحوادث التي أعقبت الحربين الرابعة والخامسة إلا أن هناك بعض الإفتراضات. الإفتراض الأول هو أن درجة التقاء المصالح بين القاعدة والنظام اليمني تبلغ درجة عالية خلال الحرب على اعتبار أن أعضاء القاعدة ومناصريها ينظرون إلى الحوثيين وإلى الشيعة بشكل عام، كما بينت أنشطة القاعدة في العراق خلال السنوات التالية للغزو الأمريكي، كروافض يجب قتلهم. وحيث أن وقف الحرب يعني تراجع النظام عن هدف القضاء على الحوثيين، فإن القاعدة تقوم بالانتقام عن طريق استهداف الأجانب ومصالحهم.

جدول رقم (٢): الفترات التي خاضت خلالها الحكومة اليمنية حروبا مع الحوثيين		
جولة الحرب	البداية	النهاية
الأولى	١٨ يونيو ٢٠٠٤	١٠ سبتمبر ٢٠٠٤
الثانية	١٩ مارس ٢٠٠٥	مايو ٢٠٠٥
الثالثة	أواخر ٢٠٠٥	مارس ٢٠٠٦
الرابعة	أبريل ٢٠٠٧	١٦ يونيو ٢٠٠٧
الخامسة	مايو ٢٠٠٨	١٧ يوليو ٢٠٠٨
السادسة	١١ أغسطس ٢٠٠٩	١٢ فبراير ٢٠١٠

أما الافتراض الثاني فهو أن السلطة تعمل خلال فترة الحرب على احتواء عناصر القاعدة بالرضوخ لمطالبهم التي يرجح أن تكون مادية أو تتصل بمعاملة السجناء المحسوبين عليهم أو بإطلاق سراحهم لكنها عندما تنتهي الحرب تلوح بالعصا بدل الجزرة. ومما يدعم الافتراض الثاني هو أن هناك فترة زمنية فاصلة بين إيقاف الحرب من جهة والهجوم الذي شنته القاعدة من جهة أخرى. كما يلاحظ أن القاعدة قامت قبل الهجوم على السفارة الأمريكية بصنعاء في ١٧ سبتمبر ٢٠٠٨ بنشر تهديد في إحدى الصحف بأنها ستقوم بهجوم إذا لم تستجب الحكومة لمطالبها خلال فترة زمنية معينة.

الخطر القادم بالنظر إلى أن الصراعات السياسية التي تشهدها اليمن اليوم سواء في الشمال أو في الجنوب لا تخلو من صبغة إيديولوجية وخصوصا في الشمال، وبالنظر كذلك إلى أن الفترة القادمة ستشهد تنام في الصراع على السلطة لأسباب كثيرة، فإنه من غير المستبعد أن تؤدي الصراعات إلى ظهور جماعات إرهابية جديدة تكسر احتكار القاعدة للساحة وتسعى لتحقيق أهداف سياسية أو حتى أهداف مادية بحتة. وهناك مؤشرات اليوم على أن الواقع اليمني بدأ في إنتاج مثل تلك الجماعات. فحادثة خطف الأجانب في صنعاء في يونيو ٢٠٠٩ والتي نفت القاعدة صلتها بها، وحوادث القتل المتكررة لشماليين في الجنوب تؤثر بقوة إلى احتمال حدوث مثل ذلك التطور. وسيفاقم غياب الديمقراطية أو حضورها الشكلي من الظاهرة. وستشكل الجماعات السلفية التي يتم دعمها وتقويتها اليوم لمواجهة التمرد الحوثي في الشمال، والعناصر اليسارية في صفوف الحراك والقوى السياسية الأخرى على الساحة، أبرز الجماعات التي يمكن أن تفرز تنظيمات إرهابية مرتبطة بها أو منفصلة عنها.

وهناك من يتوقع أن تركز قاعدة الجزيرة العربية منذ الآن فصاعد على العمليات البحرية لأنها ستكون الأسهل مقارنة بالأنواع الأخرى من العمليات وخصوصا الجوية ولأن الجماعة تمتلك خبرة تاريخية في هذا الجانب تمثلت في الهجوم الذي قامت به في أكتوبر ٢٠٠٠ على المدمرة الأمريكية يو اس اس كول في ميناء عدن وفي الهجوم على ناقلة النفط الفرنسية "اليمبورغ" في مطلع أكتوبر/ تشرين الأول عام ٢٠٠٢ قبالة ساحل حضرموت.

وستحاول قاعد الجزيرة كما يذهب البعض أن تثبت للجميع أنها قادرة رغم كل ما لحق بها من تدمير على القيام بعمليات نوعية ربما تتجاوز في حجمها الهجوم على المدمرة الأمريكية في عام ٢٠٠٠. ومن المحتمل ان يلعب إرهابيون صوماليون موجودون في اليمن كخلايا نائمة أو ينطلقون من الصومال دورا جوهريا في تنفيذ الهجمات البحرية المتوقعة. ومع ان هناك من يجزم بأن القاعدة تخطط لهجوم كبير ووشيك على إحدى السفن الحربية في خليج عدن أو اليخوت السياحية التي تحمل الأوربيون، أو غير ها من الأهداف البحرية إلا ان ذلك قد لا يكون سهلا لان هجوم مثل هذا سيتطلب ما هو اكبر من زورق صغير، وربما تطلب أيضا تزاوجا من نوع ما بين ظاهرتي الإرهاب والقرصنة.

**\*يرجى عدم إعادة النشر إلا بالإشارة إلى المصدر وهو ( التغيير نت )**